

## قطر والولايات المتحدة الأميركية: نحو شراكة جديدة

أطلقت أحداث الربيع العربي خديراً حياً للعديد من البديهيات التقليدية في الشرق الأوسط. كما أثارت تساؤلات حول الأنظمة القديمة وقدرتها على الاستمرار في ظل المحدثات التي كانت سائدة خلال العقود الخمسة السابقة والتي لم تثبت لجأها. لقد اقترنت هذه الصورة الغامضة برغبة متزايدة من قِبَل الولايات المتحدة الأميركية للانسحاب من المنطقة؛ فضلاً عن إدارتها للأحداث عن بُعد من خلال عمليات عسكرية منتقاة تتجاهل جوهر وطبيعة التوترات في الشرق الأوسط. كما لم تُظهر الولايات المتحدة خلال السنوات الأربعة الماضية ما يكفي من التعاطف أو الدعم الحقيقي للشباب العربي الذي ملأ الشوارع والميادين بالكثير من الآمال والسلوك الحضاري. كما أنّ الولايات المتحدة الأميركية لا تزال تبني مقاربة تتصف بعدم الاكتران بالشرق الأوسط. وهي سياسة أفضت إلى انهيار العديد من الدول والحركات في المنطقة. وحيال هذه السياسة الأميركية اضطر بعض دول المنطقة وقادتها الذين يستشعرون المسؤولية إلى تقديم خبراتهم للمساعدة في دفع المنطقة بعيداً عن حافة الهاوية. تماشياً مع هذه التطورات هيمن موضوع آثار جَاهل الولايات المتحدة للمنطقة على اللقاءات التي عقدها أمير دولة قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني في العاصمة واشنطن خلال زيارته للولايات المتحدة الأميركية من ٢٤ وحتى ٢٧ فبراير/شباط ٢٠١٥؛ حيث ركّز الأمير خلال هذه الزيارة على رسالة واضحة مفادها أن قطر على استعداد تام للقيام بكل ما يلزم من أجل إحلال السلام والاستقرار في المنطقة والعالم (١).

### مركز الجزيرة للدراسات



أميركي أو غربي يمكن له أن يؤثر على أية حصلة للأحداث على حساب روسيا. ترغب روسيا من كل ذلك أن تبقى التوتر عالياً في الشرق الأوسط من أجل أن تبقى أسعار النفط مرتفعة وأن يستمر الطلب لشراء الأسلحة، وهو ما من شأنه أن يجعل روسيا قوة عسكرية واقتصادية مهمة في المنطقة. ولذلك يتطلب الأمر من الولايات المتحدة والقوى الإقليمية الأخرى في الشرق الأوسط أن تعمل على وقف الروس من الاستمرار في هذا المسار الخطير الذي سيؤدي إلى تقسيم المنطقة على أسس عرقية وأيديولوجية.

ويُعد استخدام النفط «كقوة ناعمة» أولى مهمة لتجسيم الطموحات الروسية في المنطقة وحول العالم. لذلك أن الدفع باتجاه خفض أسعار النفط سيضر بروسيا على المدى البعيد وسيجبرها على إعادة النظر في سلوكها السياسي وسياساتها التوسعية. ومن شأن تقليد موارد روسيا المالية أن يؤدي إلى تحديد تدخلها على المستوى الإقليمي والدولي، كما أن تحميلها المسؤولية عن أفعالها سيؤذيها عن إعاقة أو إلحاق الضرر بتوازن القوى العالمي. تحتاج الولايات المتحدة إلى شركاء والمنطقة يتصفون بالاستقرار والخبرة والقوة والقدرة والاستعداد للتعاون معها، ولتسهيل أي حوار من شأنه أن يزيل أو يخفف الصراعات والغضب في الشرق الأوسط، وها هي قطر تصدّدها للولايات المتحدة ولكل البلاد المحبة للسلام للعب دور بناء يسعى إلى التغيير، يمكن له أن يدفع المنطقة بعيداً عن حافة الهاوية (٩).

### خاتمة

أريحت إدارة الرئيس أوباما المنطقة على صعد مختلفة بطريقة تعاملها مع الربيع العربي، وخاصة ما يتصل بالقضية المصرية والسورية خلال السنوات الأربع الأخيرة. كما أريحت الكثير من المراقبين للمنطقة غياب زمام المبادرة الأميركية في كل من مصر وليبيا وفلسطين وسوريا واليمن؛ لذلك ينبغي على الولايات المتحدة أن تتعاون مع حلفاء في المنطقة بتعمير بالاستقرار ولديهم الاستعداد وجديرين بالثقة مثل قطر والتهيار وإحباط أية محاولة روسية للتوسع أو إحداث الفوضى. تتصف الولايات المتحدة اليوم على مفترق طرق حرج في الشرق الأوسط؛ فمصادقتها في مستوياتها الدنيا، وسياساتها مترددة، وقوتها أصبحت موضع شك، فضلاً عن أن بوصلتها الأخلاقية فقدت الاتجاه. كما أن الكثير من الشعوب والقادة تتساوهم الشكوك بشأن التزامها بقيمها المتعلقة بالديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان والمساواة للجميع. وإذا لم تسترد الولايات المتحدة المبادرة عبر إقناع حلفائها باستعدادها لحماية القيم التي توطن لها، فإن قوى أخرى على استعداد لمساءلة الفراغ واستبدال نفسها بالولايات المتحدة بوصفها القوة الرئيسية في المنطقة، ويمكن لعدد من الدول التي تستشعر المسؤولية في المنطقة أن تساعد الولايات المتحدة في نشر السلام والاستقرار والعدالة والأمن والمساواة للجميع، وقطر على استعداد أن تكون واحدة من هذه الدول.

وإن يلتمسوا طرُقاً غير مألوفة للوصول إلى ما يرغبون به من نتائج بعيداً عن الولايات المتحدة ورويتها الغامضة بشأن التحول الحقيقي نحو الديمقراطية في الشرق الأوسط. كما أن التردد الأميركي في المنطقة مهد الطريق أمام روسيا لملا فراغ القوة الملموس في منطقة لا تحتل أو تُغفر فيها الأخطاء.

يُشار إلى أن كلاً من قطر والولايات المتحدة لن تستفيدا من أي توسع روسي في المنطقة؛ حيث ترى الولايات المتحدة في ذلك استمراراً للحرب الباردة، بينما يمكن لقطر أن ترى في أي دور روسي استمراراً للنظام القديم وأداة لزيادة وخلق التوترات في دول الجوار. وبصرف النظر عن استثناء محتمل من قِبَل قطر والولايات المتحدة للدور الروسي في المنطقة، فقد انتهزت روسيا الفرصة وشرعت في استغلال الأحداث في المنطقة بطريقة أظهرت رغبة في إفشال الثورات وإغراق المنطقة بالفوضى. يُذكر أن روسيا عارضت جميع الثورات التي حدثت في المنطقة وعملت يبدأ بيد مع الأنظمة القديمة لإجهاضها جميعاً. ولم يُخف الروس حماسهم للانقلاب العسكري الذي أطاح بأول رئيس مدني منتخب ديمقراطياً في التاريخ المصري الحديث، كما أنهم لم يخفوا دعمهم العسكري وأداة للاقتصادي غير المحدود للنظام في سوريا. وبذلك أظهرت كل من الحائسة المصرية والسورية بشكل لا لبس فيه رغبة روسيا في منع أي تحول سلمي نحو الديمقراطية في المنطقة. وفي هذا السياق لا يمكن تبرير أو شرح الموقف السلبي الأميركي حيال الربيع العربي نظراً للتقليد الأميركي الراجح في دعم الديمقراطيات والليبرالية وحماية حقوق الإنسان. ومع ذلك، فإنه يمكن تفسير السلوك الروسي على الصعيد المحلي، قاوم الروس نتائج الثورات في المنطقة لإزالة أي تهديدات داخلية من قِبَل الأقليات الإسلامية التي تعيش في روسيا، وهي أليات ما فتئت تسعى للاستقلال منذ سقوط الاتحاد السوفيتي السابق، ولكن روسيا رُدت بالقوة المفرطة ضد الأغلبية الرئيسية في المنطقة. تسكن منطقة القوقاز. ولذلك تعتبر روسيا أي تحول نحو الديمقراطية في المنطقة بوصفه تحسلاً غير مرحب به ويتوجب إفشاله من أجل تجنب أية محاولة من قِبَل الأقليات المسلمة للقيام بثورة ما أو للمطالبة بمرزيم من الحقوق. انسجاماً مع هذا الفهم، استثمرت روسيا بشكل كبير في ليبيا وسوريا، وعملت بجد لتعريف ووسم كل الحركات التي سعت إلى التغيير بأنها إرهابية أو جهادية أو متطرفة. وكان من شأن السلوك الروسي أن يُعقد الأحداث على الأرض على الأميركيين وحلفائهم في المنطقة؛ فروسيا أطالت الصراع في سوريا بقيامها بدور الوسيط غير المحايد بين النظام السوري والمعارضة، واتهم كثير من أعضاء المعارضة السورية الوفود الروسية التي شاركت بأعمال الوساطة بأنها كانت أكثر تشدداً من النظام السوري نفسه (٨). أما على الصعيد الإقليمي؛ فقد عمد الروس إلى دعم إيران وسوريا على حساب تركيا، وإلى تعزيز مفهوم الطائفية «الشيعية على حساب السنة»، وإلى تقييد أي دور

إيران؛ البلد الذي يشاركها قدرًا كبيراً من احتياجاتها من الغاز الطبيعي في حقل الشمال. كما نفذت قطر قرار الجامعة العربية وشاركت في تحالف تم تشكيله بقرار من مجلس الأمن الدولي لحماية المدنيين الليبيين على الأرض. ومن هنا تقدم قطر نفسها بوصفها استثناءً وفاقلاً مستقراً يمكن الوثوق به في منطقة أغرقتها الكثير من الحقائق التي تبعث على القلق. عليه، يبقى ممكناً تشكيل شراكة جديدة بين الولايات المتحدة وقطر تستند إلى التبادلية والاحترام والامتيازات والمنافع المشتركة من أجل الوصول إلى الحويلة التي يروجها الطرفان والمتمثلة بالمساواة والعدالة والاستقرار للجميع.

رغم ذلك، فإنه من المؤسف أن يعمل بعض الأطراف الأميركية على تقييد الشراكة الأميركية-القطرية التقليدية للعديد من الدول والقادة في المنطقة الذين اعتادوا الاعتماد بشكل كامل على الولايات المتحدة في تحمل المسؤولية والتدخل وحل النزاعات. ومع ذلك، فإن قطر على استعداد لأن تأخذ زمام المبادرة وتشارك في مقابلة على صعيد المنطقة والعالم. تحتاج الولايات المتحدة الاستراتيجية لمساعدة قطر في تشكيل الناتج السياسي الذي ما زال يتطور بسبب حالة عدم الاستقرار التي تشهدها المنطقة في أعقاب ما باتت يعرف بثورات الربيع العربي التي انطلقت من الموراد؛ ففي خلال العقدين الماضيين توسطت قطر بين الفرقاء في لبنان وليبيا وفلسطين والسودان واليمن وغيرها من الدول. كما ينبغي الدبلوماسيون القطريون على اتصالات مستمرة مع اللاعبين البلا، حيث سُجّلت كمؤسسة خاصة ذات نفع عام، بمعنى أنها منظمة غير حكومية لا تهدف إلى الربح ولا تعنى بالسياسة، وإنما تهدف إلى تشجيع الفهم والتعاون المتبادل بين قطر والولايات المتحدة في مجالات التجارة والاستثمار. وعلاوة على ذلك، تستضيف قطر عدداً من المؤسسات الأميركية الرئيسية والرائدة في المجال الأكاديمي، منها فروع لست جامعات أميركية مرموقة في المدينة التعليمية. وتهدف هذه الجامعات

إلى بناء جسور الحوار والثقة بين الثقافتين وتطلع إلى تدريب جيل جديد من النخب العربية والغربية لتشجيع فهم أفضل ولتأهيل مجموعة من القادة الذين يمكن أن يحولوا رؤية مشتركة في المستقبل. وبذلك تحاول المدينة التعليمية في قطر أن تقلل في نهاية المطاف من الفجوات الاقتصادية والثقافية والفكرية، وأن تجد لغة عملية مشتركة للجميع. وتهدف هذه البنى التحتية الاقتصادية والثقافية بين البلدين وتسمح لكليهما بأن يعززا علاقاتهما ويخطما للمضي قدماً نحو مستوى عالٍ من الاحترام المتبادل وتكوين شراكة استراتيجية حقيقية.

قطر والولايات المتحدة: احترام متبادل

يمكن لقطر أن تقدم عوناً كبيراً للولايات المتحدة الأميركية فيما يتصل بالعديد من القضايا الإقليمية والدولية؛ ذلك أن قطر تجمع قدرًا كبيراً من الخبرة، والمصادقية، والمهارات، والقدرة على التعامل مع العديد من الأطراف على قدم المساواة؛ فضلاً عن مساعدة الخصوم للوصول إلى حلول شاملة تعكس تماسك وتوافق الفاعلين المعنيين. لقد برعت المثال تستضيف قطر قادة الوساطات واستمرت لأجلها الكثير من الموراد؛ ففي خلال العقدين الماضيين توسطت قطر بين الفرقاء في لبنان وليبيا وفلسطين والسودان واليمن وغيرها من الدول. كما ينبغي الدبلوماسيون القطريون على اتصالات مستمرة مع اللاعبين البلا، حيث سُجّلت كمؤسسة خاصة ذات نفع عام، بمعنى أنها منظمة غير حكومية لا تهدف إلى الربح ولا تعنى بالسياسة، وإنما تهدف إلى تشجيع الفهم والتعاون المتبادل بين قطر والولايات المتحدة في مجالات التجارة والاستثمار. وعلاوة على ذلك، تستضيف قطر عدداً من المؤسسات الأميركية الرئيسية والرائدة في المجال الأكاديمي، منها فروع لست جامعات أميركية مرموقة في المدينة التعليمية. وتهدف هذه الجامعات



### ملخص

أدت استراتيجية إدارة الرئيس أوباما بتخفيف حضور بلاده في منطقة الشرق الأوسط لحساب تعزيز وجود القوات الأميركية في شرق آسيا. إلى تولد شعور عام بعدم اكتران الولايات المتحدة الأميركية بالشرق الأوسط. لاسيما بعد أن تم الإعلان عن اكتشاف كميات هائلة في الأراضي الأميركية من النفط والغاز الصخريين. كما أن سوء إدارة الولايات المتحدة للأحداث في منطقة الشرق الأوسط من خلال عمليات عسكرية منتقاة. أدى إلى جَاهل جوهر وطبيعة التوترات في منطقة الشرق الأوسط. ما قاد إلى مرحلةٍ من عدم الاستقرار في عدد من دول المنطقة. وظهور جماعات جهادية متشددة نظراً لتوغل الاستبداد والقمع اللذين مارسهما -ولا يزال- الحكام المستبدون ضد شعوب المنطقة. يسعى الباحثان في هذه الورقة إلى تسليط الضوء على آثار جَاهل الولايات المتحدة لأحداث المنطقة. وذلك انطلاقاً من نتائج اللقاءات التي عقدها أمير دولة قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني في العاصمة واشنطن أثناء زيارته الأخيرة في شهر فبراير/شباط ٢٠١٥؛ حيث ركّز الأمير خلال هذه الزيارة على رسالة واضحة مفادها أن قطر على استعداد تام للقيام بكل ما يلزم من أجل إحلال السلام والاستقرار في المنطقة والعالم.